

## إدارة بوش وعبقريّة الفشل :-

حين تسلّم الرئيس بوش مقاليد الحكم في أمريكا في عام 2001 كان الرئيس كلينتون قد ترك له وضعاً اقتصادياً وسياسياً وأمنياً دولياً جيداً إلى حد بعيد، إذ كانت أمريكا في حينه تتمتع بفائض في الدخل، وبمديونية قليلة نسبياً بالنسبة للنتائج القومي الإجمالي، وكان الاقتصاد في وضع جيد. إلى جانب ذلك، كانت أمريكا وسياساتها الخارجية تتمتع بمصداقية عالية على الساحة الدولية، وكان الرئيس كلينتون قد أصبح أكثر رؤساء دول العالم شعبية، وكان الشعب الأمريكي يعيش في حالة أمن وسلام. وهذا جعل الشعور بالتفاؤل يعم البلاد، ويعمق الإحساس لدى العامة من الناس بأن بلادهم تسير في الاتجاه السليم. أما الآن، وقبل انقضاء سبع سنوات على تولي بوش مقاليد الحكم في البلاد، نلاحظ أن أمريكا أصبحت تعاني من مشاكل كثيرة وعويصة، جعلتها تقترب من العديد من الدول المضطربة غير الديمقراطية من حيث حماية الحريات الفردية، وحجم العجز في الميزانية، وارتفاع المديونية الحكومية، والتفرد في اتخاذ القرارات المصيرية، وتعدد حالات الفساد الإداري والمالي، وشيوع الفقر والتشرد، والعجز في توفير الخدمات للمحتاجين.

لقد قام الرئيس بوش بقلب كل الأوضاع التي ورثها عن سلفه خلال سنوات حكمه القليلة، والتسبب بالتالي في جعل معظم ما كان إيجابياً في الحياة والسياسة الأمريكية يتحول إلى شيء سلبي. لقد أصبحت أمريكا في ظل إدارة بوش تعاني من أمراض اجتماعية واقتصادية وسياسية كثيرة لا حصر لها، حيث يضيق مجال الحريات العامة، وتُتخذ القرارات بطرق ملتوية وأحياناً غير شرعية دون استشارة الكونجرس، وأصبحت ميزانية الدولة تعاني من العجز مجدداً بعد أن تبخر الفائض وأصبحت النفقات تتجاوز الدخل من الضرائب. ولقد جاء الاعتداء على حريات المواطنين وانتهاك حقوقهم، وتطبيق إجراءات مشكوك في قانونيتها وأخلاقيتها للتفرقة ضد بعض الأقليات باسم حماية الأمن ومكافحة الإرهاب. أما فيما يتعلق بالعجز في الميزانية فيعود ذلك لفعل عاملين أساسيين: قيام الرئيس وحزبه الجمهوري الذي سيطر على الكونجرس حتى بداية العام الحالي 2007 بخفض الضرائب على الدخل بالنسبة للأثرياء، وإنفاق أكثر من خمسمائة بليون دولار على الحربين في أفغانستان والعراق، وزيادة ميزانية وزارة الدفاع إلى حوالي 650 بليون دولار سنوياً. ولقد ترتب على هذه السياسة إهمال الكثير من الخدمات العامة، والتسبب في زيادة الأوضاع المعيشية للفقراء بؤساً وسوءاً، وتزايد الفوارق الطبقيّة بشكل كبير غير مسبوق في تاريخ أمريكا، وضمحلل الطبقة الوسطى من حيث الحجم والنفوذ والطموح. وحيث أن وجود طبقة متوسطة كبيرة بما يكفي، ولديها ما يكفي من الوعي بمصالحها الاقتصادية والسياسية، ووثيقة بنفسها بما يكفي، هو أهم شروط قيام نظام ديمقراطي وتمتعه بالحيوية، فإن اضمحلال حجم ونفوذ تلك الطبقة جعل الديمقراطية الأمريكية تغدو تقليداً يعرقل ولا يسهل التطلع نحو العدالة في توزيع الدخل وتكافؤ الفرص والتعددية السياسية في المجتمع.

من ناحية أخرى، تراجعت معدلات النمو الاقتصادي بوجه عام والإنتاج الصناعي بوجه خاص، وتراكمت الديون بسبب العجز في الميزانية، مما جعل اعتماد أمريكا على القروض الخارجية يتزايد يوماً بعد يوم من أجل سد العجز في الميزانية، وتمويل الواردات ومعظمها بضائع استهلاكية. وفي الواقع، أصبحت أمريكا تقترض ما يزيد على البليون دولار يومياً من الخارج، مما حال دون اللجوء لرفع معدلات الفائدة على الدولار كثيراً، وساهم في دعم العملة

الأمريكية والحيلولة دون انهيارها. إلا أن تزايد الواردات أدى إلى تزايد العجز في الميزان التجاري، وتسبب في إضعاف العملة الأمريكية، مما جعلها تفقد حوالي 60% من قيمتها أمام اليورو منذ طرحه في الأسواق العالمية كعملة رئيسية. وبالرغم من ارتفاع قيمة العملة الأوروبية بنسبة كبيرة جدا خلال سنوات معدودة، إلا أن معظم الصناعات الأوروبية، استطاعت أن تحافظ وأحيانا ترفع قدرتها التنافسية في السوق الأمريكية.

إلى جانب ذلك، قام الرئيس بوش بتعيين موظفين كبار في الدولة، كالسيد بولتون سفير أمريكا السابق لدى هيئة الأمم في غياب الكونجرس، وذلك في محاولة لتقليص دوره الرقابي والالتفاف حول الدستور. وبسبب تراجع الرقابة المالية وتنامي ثقافة الفساد، تعرضت بيوت الإقراض والرهن العقاري في أمريكا لفضيحة أدت إلى تراجع نشاط البناء ومصادرة مئات الآلاف من البيوت من أصحابها والتسبب في إفلاسهم وتشريدهم وتدهور قيمة الدولار. ومما انفردت به إدارة بوش بامتياز شيوع الفساد الإداري والمالي، وقيام العديد من المسؤولين الحكوميين بتجاوز صلاحياتهم وارتكاب أخطاء وجرائم يعاقب عليها القانون دون تمكن العدالة من اتخاذ مجراها، وذلك بسبب حماية الرئيس للمجرمين وقيامه بالعفو عنهم وإعادة تعيين بعض من أدينوا خلال حكم الرئيس ريجان بجرائم مماثلة قام والده بالعفو عن مرتكبيها. وبالرغم من أهمية كل هذه الانجازات التي حققتها إدارة بوش، إلا أن زج أمريكا في حروب غير مبررة، والتسبب في كسب عدا كل مسلمي العالم تقريبا، وكرهية معظم شعوب الأرض، بما في ذلك قدامى الأصدقاء والحلفاء، كانت أهم انجازات تلك الإدارة العبقرية. ومع تراجع شعبية بوش لمستويات منخفضة جدا، واتضح حجم الورطة وضخامة الأخطاء ونوعية الجرائم التي ارتكبت في العراق، بدأت موجة التشاؤم تجتاح البلاد، مما جعل حوالي ثلثي الشعب الأمريكي يشعرون بالإحباط ويقولون أن أمريكا تسير في الطريق الخطأ، وأن المستقبل لا يطمئن.

إن لجوء قوات الاحتلال الأمريكية إلى تجريد العراقيين من إنسانيتهم كان سببا في قيامهم بارتكاب الجرائم بحق آلاف العراقيين دون مبرر. لكن الجنود الأمريكيين الذين دأبوا على اهانة العراقيين وقتلهم وانتهاك حرمة بيوتهم والاعتداء على نسائهم، اكتشفوا بعد أن عادوا إلى بلادهم، خاصة بعد تعرية أكاذيب حكومتهم، أنهم فقدوا إنسانيتهم. وكما قال أحد الكتاب الأمريكيين، "إن خسارة حرب شيء سيئ، لكن خسارة أمة لروحها شيء أسوأ بكثير. وهنا تكمن عبقرية الرئيس بوش وإدارته الفذة، إذ أنه ليس من الممكن أن ينجح رئيس في تحقيق مثل هذا الفشل الذريع والشامل في سنوات قليلة لو لم يكن يتمتع بعبقرية الفشل.

لنشر يوم الثلاثاء 31 - 7 - 2007